# نظرية المهمل في كتاب العين
# مفهوم وبيان

**ستار زايم مهيدي زايم العيساوي**
**محمد توفيق عبدالمحسن الدغمان**
الجامعة المستنصرية

**خلاصة.**

تناول هذا البحث قضية الجذور المهملة، في معجم العين، وهي تلك الكلمات التي أهملها الخليل بدعوى إهمال العرب لها فلم يستعملوها لسبب أو لآخر، ومن المعلوم أن جانب النظرية الرياضية المنطقية ، يفترض عددًا كبيرًا من الجذور التي باستطاعتنا تكوينها من أصوات اللغة الثمانية والعشرين أوالتسعة والعشرين، إلا أن الجماعة اللغوية العربية النّاطقة لم تستعمل هذه الجذور جميعها، وإنّما استعملت منها ما كانت محتاجةً إليه

وهذا ما تناوله الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه، وبنى عليه نظريته المعلومة (المستعمل والمهمل) والذي يرجح أنه كان أول من أطلق التسمية (المهمل) وعنى بها هذه الكلمات التي لم يكن لها نصيب من كلام العرب واهتمامهم.

لقد أخذت هذه الدراسة على عاتقها تقعيد المهمل في معجم (العين) وتفصيله ، وبيان ما له وما عليه، ومن هنا تبين أهميّتها فهي تلقي الضوء على ظاهرة بعيدة قريبة، بعيدة ؛ لأنّها مرتبطة في الآلة التي تتكّلم بها الجماعة الناطقة منذ القدم، وقريبة من حيث إنّها لم ينبر لها أحد، فيضعها على بساط البحث العلميّ.

**توطئة.**

من المعلوم عند الباحثين أنّ العرب يُعدّون أوّل من ابتدع التصنيف المعجمي في عصور الأمم المتأخرة[1]، على أنّ التأليف المعجمي عند العرب كان قد بدأ متواضعاً دعت إليه الحاجة الدينية في الحفاظ على هذه اللغة الكريمة التي هي لغة نصوص التنزيل، والتشريع، ثمّ تطور هذا التأليف حتى استوى على سوقه في نهاية القرن الثاني الهجري بمعجم ظل مثار الإعجاب إلى يوم الناس هذا، ألا وهو معجم (العين).

توصل الخليل بعد طول نظر، وعمق تفكير إلى أن يصنع عملاً يحق للأمة جمعاء أن تفخر به، فقد وضع معجمًا جمع فيه لغة العرب، ورتبه ترتيباً لم يُسبق إليه، ذلك بما أوتي من عبقريّة فّذة مكنته من إحصاء لغة العرب رياضيًا[2] ، بمعنى ﴿تعَرُّف إمكاناتها، بطريقة مبتدعة في التأليف، والترتيب، فاعتمد على الترتيب الصوتي للحروف، والتقليب للجذور، ونظام الأبنية، محاولاً من خلال هذه الأسس الثلاثة جمع لغة العرب، مبيناً الجذور المستعملة في الواقع اللغوي مما يدلّ على معنى معين، والجذور المهملة التي ليس لها استعمال في الواقع اللغوي العربي.

وبعد ما تمّ له جمع اللغة نظريًا، أخذ يرّتب موادّها ترتيبًا يتماشى وثاقب فهمه ، ووفرة علمه ، وقادته ثقافته الموسيقية في معرفة الإيقاع، وتضلّعه بأصوات اللغة العربية إلى ترتيب معجمه على وفق مخارج الأصوات، بعد أن استقرى الجهاز الصوتي بأدقّ تفاصيله ووزعه إلى أحياز ومدارج ومخارج، وعزا إلى كلّ مخرج و مدرج ما له من أحرف، ابتداءً من الحلق وانتهاءً إلى الشفة ، ولمّا كان العين أدخل الحروف في الحلق، ابتدأ به ، وأُطلِق عليه (كتاب العين)، من باب تسمية الكل باسم الجزء، وفي صدد ذلك ورد في مقدّمة معجمه: "فدبّر ونظر إلى الحروف كّلها وذاقها، فوجد مخرجَ الكلاِم كّله من الحلق ، فصيّرَ أَوْلاها بالابتداءِ أدخلَ حرفٍ منها في الحلق ، وإّنما كان ذَواقُه إيّاها أّنه كانَ يفْتحُ فاه بالأف[3] ، ثم يُظهر الحرف، نحو : اب، ات، اح،اع، اغ، فوجد العينَ أدخلَ الحروف في الحلق ، فجعلها أول الكتاب، ثم ما قرب منها الأرفع فالأرفع، حتى أتى على آخرها وهو الميم"[4]. وقد عرّج على الموضوع نفسه في معرض كلامه على صفات الحروف في موضع آخر من المقدمة بقوله:" فأقصى الحروف كّلها العين ثم الحاء، ولولا بحّة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين ، ثم الهاء ولولا هّتة في الهاء وقال مَّرة هّه لأشبهت الحاء ؛ لقرب مخرج الهاء من الحاء ، فهذه ثلاثة أحرف في حيّز واحد بعضُها أرفع من بعض ، ثم الخاء والغين في حيّز واحد كلّهنّ حلقية".[5]

وقد يسأل سائل ما الفرق بين الحيز والمخرج؟ أقول: إنّ الحيّز أوسع من المخرج، فقد يشتمل على أكثر من صوت، من حيث إنّه منطقة ممتدة لها بداية ونهاية ووسط ،فهو:" الفراغ الذي يشغله الصوت في الحلق والفم... أما المخرج فهو يقابل ما يعرف لدى المُحْدثين بموضع النطق ".[6]

ومن خلال ما سبق يتبين لنا، أنّ الخليل هو أوّل من فكّر بجمع لغة العرب على أساس علمي، كما أنّه يعدّ السَّبّاق في الوقوف على تلك الإمكانات الهائلة للغتنا العربية. أضف إلى ذلك أن الخليل

هو أول من لاحظ أنّ العرب لم يستعملوا كلّ إمكانات لغتهم، وإنّما استعملوا أقلّها وتركوا جّلها، فقد أجال فكره كثيراً في البحث عن أسباب هذا الترك متّكئاً على أساس متين من مخزون خبرته بخصائص العربيّة ونظامها الصوتي. ولا ينكر أحدٌ أنّ الخليل صاحب قصب السبق في تسمية ما استعملته العرب مستعملاً، وما رغبت عنه مهملاً، ولم يكن هدف الخليل عندما عزم على جمع لغة العرب في إحصاء المهمل والمستعمل فقط، ولكن يضاف إليه أيضاً هدف آخر، هو بيان خصائص اللغة العربيّة في بنائها الصوتي، وما تجيزه من نسيج بين حروفها وما لا تجيزه. وهنا أحب أن أذكر الطريقة الخليلية في الإحصاء وعدّة أبنية الكلام.

أقول: قد أورد السيوطي[7] في بغية الوعاة عن الخليل في معرض حديثه عن اللغة وخصائصها أنه ذكر أنّ "عدد أبنية كلام العرب المُستَعمل والمُهمل على مراتبها الأَربع من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي من غير تكرِير اثنا عشر ألف ألف وثلثمائة ألف وخمسة عشر ألف وأَربعمائة واثنا عشر، الثنائي سبعمائة وسِتَّة وخمسونَ، والثلاثي تسعة عشر ألفا وستمائة وخمسونَ، والرباعي أَربعمائة ألف وأحد وتسعونَ ألفا وأَربعمائة، والخماسي أحد عشر ألف ألف وسبعمائة وثلاثة وتسعونَ ألفا وستمائة"[8]. وقد أوضح ابن خلدون[9] طريقة الخليل في حصر الجذور من مركبات حروف المعجم، في معرض حديثه عن علم اللغة[10] إذ يقول:" وكان سابق الحلبة في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيديّ. ألّف فيها كتاب العين فحصر فيه مركّبات حروف المعجم كلّها من الثّنائيّ والثّلاثيّ والرّباعيّ والخماسيّ ، وهو غاية ما ينتهي إليه التّركيب في اللّسان العربيّ، وتأتّى له حصر ذلك بوجوه عديدة حاضرة وذلك أنّ جملة الكلمات الثّنائيّة تخرج من جميع الأعداد على التّوالي من واحد إلى سبعة وعشرين ، وهو دون نهاية حروف المعجم بواحد ؛ لأنّ الحرف الواحد منها يؤخذ مع كلّ واحد من السّبعة والعشرين، فتكون سبعة وعشرين كلمة ثنائيّة، ثمّ يؤخذ الثّاني مع السّتّة والعشرين كذلك، ثمّ الثّالث والرّابع ، ثمّ يؤخذ السّابع والعشرون مع الثّامن والعشرين، فيكون واحدًا فتكون كلّها أعدادًا على توالي العدد من واحد إلى سبعة وعشرين، فتجمع كما هي بالعمل المعروف عند أهل الحساب، وهو أن تجمع الأوّل مع الأخير وتضرب المجموع في نصف العدّة، ثمّ تضاعف لأجل قلب الثّنائيّ لأنّ التّقديم والتّأخير بين الحروف معتبر في التّركيب فيكون الخارج جملة الثّنائيّات، وتخرج الثّلاثيّات من ضرب عدد الثّنائيّات فيما يجمع من واحد إلى ستّة وعشرين على توالي العدد لأنّ كلّ ثنائيّة يزيد عليها حرفًا، فتكون ثلاثيّة، فتكون الثّنائيّة بمنزلة

الحرف الواحد مع كلّ واحد من الحروف الباقية، وهي ستّة وعشرون حرفاً بعد الثّنائيّة، فتجمع من واحد إلى ستّة وعشرين على توالي العدد، ويضرب فيه جملة الثّنائيّات، ثمّ تضرب الخارج في ستّة، جملة مقلوبات الكلمة الثّلاثيّة فيخرج مجموع تراكيبها من حروف المعجم، وكذلك في الرّباعيّ والخماسيّ[11]، فانحصرت له التّراكيب بهذا الوجه ورتّب أبوابه على حروف المعجم بالتّرتيب المتعارف"[12].

وبعد فإنّ المهمل في (كتاب العين) ظاهرة مهمة تستحق منَّا الرصد والعناية والدراسة،ومن خلال هذا المنطلق فقد بيّتُّ النيّة وعقدت العزم متوكلاً على القوي العزيز ، لدراسته عَلَّه يكون بحثًا نافعاً يُسهم في إثراء مادة (المعجم العربي).

## المبحث الأول

## المعنى اللغوي والتطبيقي للمهمل

### أولا: المعنى اللغوي

(المُهْمل)–بضم الميم وسكون الهاء وفتح الميم الثانية– (اسم مفعول) من الفعل الثلاثي المزيد بالهمزة(أهملَ) على وزن أفعل فهو من جهة اللفظ كلمة مشتقة.

أمّا من جهة المعنى ففي أقدم معجم مؤلف عند العرب وهو معجم (كتاب العين) حيث ورد فيه :" الهَمَلُ: السُّدَى، وما ترك اللهُ النّاسَ هَمَلاً، أي: سُدىً بلا ثَوابٍ وبلا عِقابٍ. وإبلٌ هَوامِلُ مُسَيَّبةٌ لا تُرْعَى، وأمرٌ مُهْمَلٌ، أي: متروك".[13]فدلالة الإهمال عنده عامة على الترك سواء أكان كلاماً أم غيره.

وأكثر تفصيلاً عند ابن دريد[14] إذ يقول :"الهَمَل من قَولهم: أهملتُ الإبلَ، إذا تركتَها وسَوْمَها...وهَمَل الدمعُ يهمُل هُمولاً فَهُوَ هامل...وأهمل فلانٌ أمرَه، إذا تَركه وَلم يُحكمه... ومَهْمِل العين...وَهُوَ حَيْثُ ينهمل الدمع".[15]

وإلى مثل هذا المعنى ذهب ابن فارس[16] إذ يقول:"الهاءُ والميمُ واللامُ أصْلٌ واحدٌ أهَمْلتُ الشيء: إذا خَلّيْتُ بَيْنه وبين نفْسه".[17]

وقريب من هذا ما أورده في مجمل اللغة مع زيادة معنى الترك تلميحاً وذلك بقوله: "همل: أهملت الشيء، إذا خليت بينه وبين نفسه، والهمل: السُّدى من الغنم ترعى نهارا بلا راع، والهمل: الماء لا مانع له، وهملت العين مثل همرت".[18]

وأول من ذكر معنى عدم الاستعمال لهذا الجذر من أهل المعاجم تصريحًا، هو ابن عبّاد[19] إذ يقول : "الهَمَلُ: السُّدى. والابِلُ الهَوَامِلُ: التي لا تُرْعى ولا تُسْتَعْمَلُ، وأمْرٌ مُهْمَلٌ: مَتْرُوكٌ".[20]

وهذا المعنى قد أكّده ابن سيده[21] في المخصص في معرض حديثه عن الجذر(ه م ل) إذ يقول : "تَرْك الإبِل وإهمالها : ابن السّكيت :هَمَلتِ الإبلُ تَهْمُل وأهملْتها أرسَلْتها ترعَى لَيلاً أَو نَهَارًا بِلا راعٍ وَهِي إبلٌ هَمَلٌ وهُمَّل وهُمَّال".[22]

أمّا الزمخشري[23] فيبدو أن وضوح معنى (همل) عنده جعله يذكر معنى ما يهمل من غير أن يذكر معنى الترك، ولم يذكر له مجازاً علماً أنّه ذكر (همل دمعه) فقال فيما معناه الترك "إبل همل وهوامل وقد أهملها الراعي فهملت، وما ترك الله عباده هملاً، وأمر مهمل"[24].

وأمّا في لسان العرب فقد ورد فيه المعنى أكثر تفصيلاً والذي يعنينا ما ورد بمعنى (الترك) حيث ينقل ابن منظور[25] ما نصّه :"أَهْمَلْتُ الشيءَ:خَلّيتُ بَينَه وبينَ نَفْسه، والمُهْمَلُ مِنَ الكلامِ خلافُ المُسْتَعْمَل"[26].

وأوفى من ذلك ما أورده صاحب التاج[27] فقد ذكر في معرض كلامه على مادة (همل) غالب ما ورد فيها، جمعه من كتب المتقدمين والمتأخرين إذ يقول:"الهَمَلُ، مُحَرَّكةً: السُّدَى المَتْرُوكُ، وَمَا تَرَكَ اللَّه النّاسَ هَمَلاً، أَي: سُدًى بِلا ثَوابٍ وَلا عِقابٍ... الهمَلُ، بِالتَحريك: الإبِل بلا رَاعٍ مِثْل النَّفش، إلا أَنَّ النَّفَش لا يكونُ إلاَّ ليلاً، والهَمَلُ يَكُونُ لَيلاً وَنَهارًا...والَّذي في المُحكَم: هَمَلَت الإبِل تَهمِلُ وَبَعِيرٌ هامِلٌ[28]...وَفي حَدِيث طِهفَة[29]: " وَلَنا نَعَمٌ هَمَلٌ "[30] أَي: مُهملَة لا رِعاءَ لَها وَلَا فِيها مَنْ يُصْلِحُها وَيَهْدِيها، فَهِي كَالضَّالَّة... والمرعيُّ الَّذي لَهُ راعٍ...وَأَهمَلَهُ إِهمالاً: خَلَّى بَينَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ كَما فِي العُباب والصِّحاح[31]،أَو تَرَكَهُ وَلَم يَستَعمله ؛ومنهُ الكلامُ المُهمَل، وَهُو خلافُ المُستَعمَل...وأَيضًا: الأَرضُ الَّتي قد تحامتها الحروبُ فَلَا يَعمُرها أَحَدٌ ".[32]

من خلال ما تقدم يتبين لنا أن معنى (المهمل) هو:المتروك وغير المستعمل على أنّه من نافلة القول أن أبيّن أن جذر (همل) ومشتقاته لم يستعمل في القرآن الكريم بأي معنى من المعاني.

**ثانياً:المعنى التطبيقي.**

لم يخرج مفهوم المهمل في الاصطلاح عن المفهوم اللغوي العام، ولاسيما أنّنا نجد في لسان العرب ما نصّه:"والمهمل من الكلام خلاف المستعمل"[33]، ومن هنا قال الشريف الجرجاني[34]،:"والمهملات:هي الألفاظ غير الدالة على معنى في الوضع"[35]. ومراد الجرجاني أنّ العرب لم تضع لهذه الجذور المهملة مقابلاً مادياً أو معنوياً تدل عليه، فهي غير مستعمله في

كلامهم، على أنه قد يلفظ بها، ولاسيما في الخطأ اللفظي، فمثلا قد يقول قائل خطأ (ديز)، وهو يريد (زيد)، وفي ذلك يقول ابن هشام:" المهمل نَحْو ديز مقلوب زيد فإنَّه وإن كان لفظا لكنه لا يدل على معنى فلا يُسمّى شَيء من ذلك ونحوه قولا".[36] وقد يلفظ به لكنّه يثقل على اللسان إذ شرط المهمل ألّا يدلَ على معنى معين[37]، أو ألا يكون سهل التلفظ به. وبمثل هذا المفهوم في اصطلاح اللغويين ورد معنى المهمل عند التهانوي[38] إذ يقول:"المهمل هو عند أهل العربية لفظ لم يوضع لمعنى كـ"جسق، وديز"،[39] ويطلق-أيضا-على الحرف الغير[40] منقوط كالحاء والسين"[41].

إنّ الباحث عندما ينعم النظر في هذين التعريفين يجد أنّ المهمل لا يشترط فيه ألا تكون العرب قد لفظت به، بل شرطه الأساس ألا يكون له معنى سواء لفظ به أم لم يلفظ، ولاسيما أنّنا نجد التهانوي قد مثّل له بـ(جسق، وديز) ، وهما كلمتان ملفوظتان، ولكن ليس لهما معنى في الواقع اللغوي العربي، ولفظهما قد يكون من خطأ المتكلم، وقد يكون هذا من قبيل ابتداع اللغويين وليس من الخطأ اللغوي.

أمّا ما ذكره التهانوي في الشطر الثاني من التعريف في أنّه يطلق على الحروف غير المنقوطة، فهذا أمر خارج عن مجال بحثنا.

والذي نلاحظه من خلال ما مرّ بنا من كلام المتقدمين والمتأخرين ،أن ثمة اختلاف بين مفهوم المهمل عند اللغويين والتطبيقيين إن صحت التسمية، فمفهوم المهمل عند الجرجاني لا يتوافق ومفهوم المهمل عند الخليل؛ لأنّ الخليل عنده المهمل ما لم يسمع عن العرب ، وليس عدم الاستعمال ، أو عدم الدلالة ، أمّا الجرجاني فعنده المهمل الذي لا يدل على جرم مادي أو معنوي[42]، وعلى هذا يمكن لنا القول بأن " المهمَل على ضربين: ضربٌ لا يجوز ائتلاف حروفه في كلام العرب بَتَّةً ، وذلك كجيم تؤلَّف مع كاف أَو كاف تقدَّم على جيم ، وكعين مع غين ، أَو حاء مع هاء أَو غين ، فهذا وما أشبهه لا يأتلف.

والضرب الآخر ما يجوز تألُّف حروفه لكن العرب لم تَقل عليه ، وذلك كإرادة مريد أن يقول: (عضخ) فهذا يجوز تألُّفه وليس بالنافر ، ألا تراهم قد قالوا فِي الأحرف الثلاثة: (خضع) لكن العرب لَم تقل عضخ ، فهذان ضربا المهمل. وله ضرب ثالث وهو أن يريد مريد أن يتكلم بكلمة على خمسة أحرف ليس فيها من حروف الذَّلقِ أَو الأطباق حرف. وأي هذه الثلاثة كان فإنه لا يجوز أن يسمى: كلاماً لما ذكرناه من أنه وإن كان مسموعاً مؤلفاً فهو غير مفيد ، وأهل اللغة

لم يذكروا المهمل في أقسام الكلام وإنما ذكروه في الأبنية المهملة الَّتي لم تقل عليها العرب، فقد صح ما قلناه من خطأ من زعم أن المهمل كلام".[43]

وهذا ما أكده الكفوي[44] إذ قال:"المُهْمَلُ ؛ ما لم يُوضَع، وهو مقابلُ الموضوعِ لا المستعمل".[45]

وعلى هذا فغير دقيق تعريف المهمل على أّنه نقيض المستعمل فحسب، أو مَن عرّفه بأّنه ما لم يوضَع لفائدة[46]، إذ لو اكتفينا بهذا التعريف لتبادر إلى الذهن أنّ جميع الجذور المهملة كان يمكن لها أن تصلح للاستعمال لو تواضع عليها العرب، والأمر خلاف ذلك؛ لأنّه كما هو معلوم هناك من المهمل ما هو مخالف لنظام العربيّة الصوتيّ أساساً، فرفضه يأتي أولاً لا تالياً، ليس معنى هذا أن العرب لم يتواضعوا عليه، ولم يعطوه معنى، بل لمخالفته لنظام الجماعة العربيّة الصوتي، فلا يصح استعماله بحال من الأحوال، وبناءً على ما سبق فالمهمل يشير إلى إمكانات اللغة غير المستعملة، إمّا لمخالفتها نظام العربيّة الصوتيّ، أو لعدم تواضع الناطقين على معنى له. وفي هذا الصدد يقول الدكتور أحمد مختار عمر:"وتسمية ما نطقت به العرب فعلاً بالمستعمل، وما لم تنطق به العرب بالمهمل هي من وضع الخليل بن أحمد، وقد يكون اللفظ مهملاً؛ لأن القوانيين الصوتية لاتجيزه، وليس السبب لأنّ العرب لم تستعمله ، وذلك لعدم انسجام حروف المفردات العربية، لذا يمتنع وقوعه كما أسلفنا في (ف ب م)، ونظيرها (ع خ ه) التي يترتب عليها القول بأنّ كلمة (الهعخع) مصنوعة. وهكذا نرى أنّ الخليل قد اعتمد في بيان المهمل، وتمييزه عن غيره على ما يعرف باسم القوانين الصوتية (PHonetic Rules) ، وهي القوانين التي اتخذها، ضمن الأسس التي بنى عليها نظام معجمه "كتاب العين".[47]

لذا يمكن لنا حمل مفهوم المهمل عند الخليل، ومن سار على نهجه من العلماء المتقدمين في مفهوم المهمل، على المصطلح الحديث "مورف" عند المُحْدثين، والذي يعني الطاقة الساسية أو المادة الخام،[48] وذلك من حيث العموم والخصوص من وجه لأنه يشتمل على المورف وغيره. وفي ذلك تفصيل هو ؛ أن المهمل إن كانت قوانين الجماعة اللغوية الصوتية تجيزه إلا أنه قدِّر له أن أهمل سمي "مورفاً". أما إن كانت قوانين الجماعة اللغوية الصوتية لا تجيزه ولا تسمح في استعماله لسبب صوتي فلا يسمى "مورفا" إلا أنه هو و"المورف" قد دخلوا في مفهوم المهمل عند الخليل ومن تبعه من المتقدمين.

إنّ مفهوم "المستعمل" عند المتقدمين وأولهم الخليل يتطابق أيضاً مع مفهوم "المورفيم" الذي هو "أصغر وحدة ذات معنى".[49]

وبعد كل ما مّر ذكره يمكن أن نضع تعريفاً عصرياً مقترحاً أظنه جامعاً مانعاً لمصطلح المهمل اللغوي فأقول: المهمل: هو تجمع صوتي، يتألّف من بعض الأحرف الهجائية التي لم تستعمل في الأصل اللغوي، مما تحتمله قسمة التركيب في بعض الأصول اللغوية المتصوّرة.

أو هو: تجمع من الحروف الهجائية ليس لها مقابل في الاستعمال (الواقع اللغوي) تدل عليه.[50]

## المبحث الثاني

## نظرية الإهمال والاستعمال–بين الدوائر اللغوية والعروضية –عند الخليل

اكتشف الخليل أوزاناً جديدة وكثيرة عند الشعراء لم يستعملها أسلافهم، وذلك أنّه استضاء بفكرة التباديل والتوافيق الرياضية في وضع علم العروض للشعراء، إذ جعل أوزانه تدور في خمس دوائر، أو بعبارة أدق تدور أجزاؤها من الأسباب والأوتاد[51]، فإذا هو يحصي الأوزان التي استعملها العرب واضعاً لها ألقابها ويحصي أوزاناً أخرى مهملة لم يستعملوها في أشعارهم، كي ينفذ منها الشاعر العباسي إلى ما يريد من تجديد في أوزان الشعر وبحوره.[52]

هكذا تتجلى براعة الفكر الإنساني في نتاج من أسندوا إلى كواهلهم مشقة هذا الطريق، لذا تحتم عليهم أن تكون رؤيتهم رؤية تسير تجاه الشمول، وتجنح إلى الإدراك بكل أطراف موضوعاتهم ونظرياتهم، والخليل بن أحمد الذي يحق للحضارة العربية أن تجعله مفخرة لها، ومصداقًا على نضوجها ووعيها رائداً من رواد الفكر الإنساني الذي وعى في نتاجه طاقة الشمول. ومصداق هذا الكلام أن رؤيته لنظام التقليبات تجمع بين جانب المثال وجانب الواقع؛ أي تجمع النظام والاستعمال في صورة تنبئ عن نفاذ بصيرة تؤكد الإحساس بما هو موجود في محيطها ، والتطلع إلى ما يمكن وجوده. وفي سبيل هذا لم يكن نظام الخليل في رصد كلام العرب وتفسيره معتمداً على منظور واحد فحسب، فقد بان حدّ النظرية عنده منوطاً بفهم يأخذ من الرياضة تجريدها الفكري، ومن اللغة واقعها الروحي.

نعم أخذت هذه المشكلة حيزًا كبيرًا في ذهن الخليل، وأعمل فكره فيها زمنًا طويلاً كما كان كثير الانشغال والتفكير في علم العروض، ولقد وصف تلميذه الليث[53] هذا الانشغال والتفكير، فهو يصف لنا حالة الخليل يوم نزوله عنده في خراسان حيث عرضت له تلك الفكرة، وشرحها وفصّلها، وكانت حينها من الصعوبة بمكان على العقل العادي إدراكها حتى يقول الليث: "فجعلت أستفهمه، ويصف لي، ولا أقف على ما يصف، فاختلف إليه في هذا المعنى أيامًا، ثم اعتلَّ

وحججت فرجعت من الحج، فإذا هو قد ألّف الحروف كلها على ما في صدر هذا الكتاب".[54] ومن المعلوم أن الخليل قد استغل عبقريته في الرياضة، وعلم الأصوات اللغوية في القوانين الصوتية إذ أسس عليها نظرية المهمل والمستعمل، وما دام بعض أنواع المهمل ممكن الحصر، فهو يرى أن يسلك مسلكاً يوضح له هذا، والمقارنة هي المسلك الذي يتيح له الاهتداء إلى المستعمل.[55] كما نعلم أن الخليل قد استفاد في التمييز بين المستعمل والمهمل بثقافته اللغوية الوفيرة، ودربته الصوتية الناضجة، وخبرته بالتجمعات الصوتية جائزة الاستعمال، وغير الجائزة عند الجماعة العربية الناطقة. وبعقلية رياضية فذّة، استطاع الخليل أن يهتدي إلى طريقة يُحصي بها كلَّ إمكانات اللغة العربية، وهي طريقة التوافيق والتباديل[56]، فلاحظ أنّ المستعمل من هذه الإمكانات قليل، وأن أكثرها مهمل. ولأن الخليل اعتمد في عملية الإحصاء ومن بعدها عملية رصد المستعمل والمهمل، على الحروف– أي الصوامت– دون الحركات القصيرة –أي الصوائت–، إذ عدّ الأخيرة زوائد على البناء يُتوَصَّل بها إلى النطق فقط، في حين أن الصوامت هي أصل بناء الكلمة العربية[57]. ولو تأمّلنا كيف حصر الخليل المادة اللغوية في أبواب الثنائي والثلاثي من الصحيح، فالذي يمثل أمامنا هو أنّ الخليل شرع في إنشاء جداول عمد من خلالها إلى جمع المواد اللغوية، ثم أخذ بعدها يقلب الأصوات في كل مادة من المواد اللغوية المتاحة عنده ليعثر على الصور العقلية الممكنة وهذا هو الذي يعرف بـ(التوافيق) و(التباديل)، وهذا الأمر هو من أهم الميزات في هذا المعجم، إذ إنّ الخليل جمع المادة اللغوية بطريقة منطقية رياضية، وقسمها، على ملاحظة أنّ الكلمة العربية قد تكون ثنائية وقد تكون ثلاثية، وقد تكون رباعية وقد تكون خماسية، خلافاً لما كان يتوقع منه في جمع المفردات عن طريق استقراء ألفاظ اللغة، وأخذها من شفاه الرواة والبحث عنها في مؤلفات الذين سبقوه.

وهذه النظرية تحتّم على الخليل تغيير أصوات الجذر إلى ما تحتمله قسمتها وذلك عن طريق التحول من حرف هجائي إلى الذي يليه، وإذا تمّ تقليب هذه الأصوات إلى كل إمكاناتها الممكنة نحصل على معجم يحوى كلمات اللغة العربية جميعها من الناحية النظرية. ونحن نعلم أن لغتنا لم تستعمل إمكاناتها النظرية كافة ، إذن فالخليل بعد هذا الإحصاء النظري لا بدّ له من النزول إلى الأرض اللغوية، وكان على الخليل الآن أن يأتي بالمادة اللغوية ومقلوباتها جملة واحدة وبذلك ترد الكلمة وقد جردت من حروفها الزوائد في أول موضع ممكن، وهذا أن ترتيب أجزاء الشيء الواحد

تُعطيه صورة معينة ، ثم بإعادة هذا الترتيب تعطيه صورة أخرى ، وإذا أعدنا الترتيب مرة ثالثة تولدت عندنا صورة ثالثة وهكذا دواليك ، فالحروف "خ ر ج" يمكن أن تأخذ التقليبات الآتية:

1-خجر، 2- خرج، 3-جخر، 4-جرخ، 5- رخج، 6-رجخ، هذا في الثلاثي، وفي الرباعي مثال ذلك أنّنا لو فرضنا أنّ شيئاً يتكون من أجزاء هي أ،ب،ج،د فإنّه يمكننا أن نحصل على أربع وعشرين صورة مختلفة لهذه الأجزاء وذلك بإعادة ترتيبها أو بالتبادل في الأوضاع بين أجزائها على النحو الآتي: أ ب ج د، ب أ ج د، ج أ ب د، د أ ب ج، أ ب د ج، ب أ د ج، ج أ د ب، د أ ج ب، أ ج د ب، ب ج أ د، ج ب أ د، د ب أ ج، أ ج ب د، ب د أ ج، ج ب د أ، د ج أ ب، أ د ب ج، ب د ج أ، ج د ب أ، د ج ب أ.

وهذا ناتج من ضرب عدد الأجزاء؛ العدد بالذي يليه، ثم بالذي يليه وهكذا،أي 24=1x2x3x4

وتعد كلّ هذه المواد مجموعة واحدة، ومن غير شك أنّ هذه الفروض الرياضية لا تجد لها في اللغة شواهد على كلِّ صيغة من الصيغ، وقد أطلق الخليل على الصيغ الموجودة فعلاً مصطلح (المستعمل) وعلى الصيغ غير الموجودة والممكنة نظريًّا (المهمل)، وبغض النظر عن مقدار المستعمل والمهمل من كل مجموعة من الحروف، فإن هذه المجموعة تناقش كوحدة واحدة، وتأتي المجموعة كاملة على وفق أحد حروفها، قد يكون الأول أو الثاني أو الأخير، يتحدد ذلك بجدول المخارج، فكلما كان الحرف سابقًا في جدول المخارج ورد بمجموعته كاملة إلى مكانه، وبذلك تأتي أي كلمة بها حرف العين في القسم الخاص بالعين وهو أول أقسام كتاب العين، فمثلاً لا تأتي كلمة (بكت) تحت الباء؛ لأنّ الباء تأتي متأخرة في ترتيب المخارج ولكنها تأتي تحت الكاف؛ لأنّ الكاف أسبق من الباء والتاء في الترتيب المخرجي.[58] فلو أخذنا مثالاً آخر حتى تتوضح الفكرة وتتجلى للمتلقي فهو على سبيل المثال إذا بدأ بالخماسي بالجيم في جذر(ج ح م ر ش) مثلاً، وسار يميناً فإنّه يحصل على (جحمرش)، وهو مستعمل أمّا إذا سار شمالاً، فإنّه يحصل على (جشرمح)وهو مهمل وكذا إذا بدأ في الرباعي بالدال في جذر(د ح ر ج)، وسار يمينًا فإنه يحصل على (دحرج)، وهو مستعمل أما إذا سار شمالاً، فإنه يحصل على (دجرح) وهو مهمل وهكذا، وهذا يشابه فكرة دوائر البحور الشعرية إن لم يكن طبقها التي ابتكرها الخليل، على ما أسلفنا. وهذا الطريقة تعرف عند المحدثين بـ(التوافيق والتباديل) أو بـ(نظام التقليبات)[59] وهي أن يقلب الكلمة على الوجوه

الممكنة لها ؛ فالكلمة الثنائية لها وجهان، والثلاثية لها ستة أوجه ، والرباعية لها أربعة وعشرون وجهًا، والخماسية لها مائة وعشرون وجهًا.

إنّ نظرية الدوائر اللغوية التي أنا بصدد التأصيل لها في هذا البحث، تتلخص في أنّ الخليل بن أحمد استعمل المنهج نفسه الذي اتبعه في حصر الكلمات العربية ليحصر تفعيلات الشعر ومن ثمّ تحديد أوزانه.

فقد عمد الخليل في ذلك أن يستوعب جذور العربية جميعها ، من خلال حصر إمكاناتها من الكلمات على نحو لم يسبقه إليه أحد، ويضمن له عدم تطرق النقص إليه أو إهمال أي كلمة، ذلك لأنّه من المعلوم أنّ من سبقوه من علماء اللغة العربية، كانوا يذهبون إلى البادية ليأخذوا الكلمات عن العرب الأقحاح ثم يسجلوها، وهذا عمل فيه من الجهد ما فيه فضلاً عن إهمال كلمات كثيرة ولا يبعد عنه احتمال الخطأ. ونتيجة لذلك، ولما كان يتمتع به الخليل من ذكاء شديد، لجأ إلى استعمال نظرية التباديل، والتوافيق الرياضية، في طريقة إحصاء الكلمات العربية، بعد أن حدد أبنية الكلام العربي من الثنائي إلى الخماسي، فقلّب الكلمات على الأوجه الممكنة منها، وحددها بعض العلماء بأنها تصل إلى اثنتي عشرة مليون كلمة[60]. ولم يكتفِ الخليل بذلك، بل حدد المستعمل منها والمهمل، فكان عمله هذا مؤسساً على المنهج العلمي الحديث المتطور الذي يسعى دائماً إلى الوصول إلى الإتقان. هذا بالنظر إلى ما تعنيه نظرية التقاليب التي أطلقتُ عليها –إن صحّت التسمية– نظرية الدوائر اللغوية، بعدها يمكن لنا أن نتحدث عن فكرة الدوائر العروضية، ومدى التشابه بين الدائرتين، فنظرية الدوائر العروضية، التي يذهب علماء العروض[61] إلى أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي وضعها تسهيلاً على المتعلّم إذا ما أراد استخراج البحور الشعرية ومعرفة أوزانها[62]، وهذه الفكرة أقصد : الدوائر العروضية قد بناها الخليل على نظرية التوافيق والتباديل وهي عملية حسابية رياضية، فقد استغل الخليل بن أحمد فكره الثاقب لبناء هذه النظرية والتي سأفصّل القول فيها. فالدائرة العروضية دائرة هندسية تحتوي على عدد من الأبحر الشعرية يجمع بينها التشابه في الأسباب والأوتاد، فإذا انطلقنا من أيّة نقطة، منها نسير حتى نعود إلى النقطة نفسها، لكننا نحصل على بحور متنوعة، بحسب مكان هذه النقطة على محيط الدائرة[63].

ومن خلال هذا العمل حصر الخليل بحور الشعر العربي بـ(ستة عشر) بحراً، تقسم على (خمس) دوائر، وفي كلّ دائرة أبحر خاصة بها، ولها بحر تبنى عليه، وفضلاً عن هذا فإنّه توجد في الدوائر العروضية بحور غير مستعملة عند العرب، أطلق عليها (البحور المهملة). [64] ولكي

يتضح لنا هذا الأمر أكثر أضرب مثالاً لدائرة من تلك الدوائر، وهنا أودّ التنويه على أمر؛ وهو أنّنا اليوم ليس لنا من شيء تجاه هذه الدوائر سوى فهمها، ومعرفة رسمها، وإلا فالخليل أتمّ هذا الأمر، وأوضحه غاية التوضيح، فلكلّ دائرة منها اسم خاص بها، ولها بحر تبنى عليه، وأتمّ أيضاً ما يمكن استخراجه من كلّ دائرة من المستعمل والمهمل، وأنا سآخذ دائرة واحدة، وسأبيّن طريقة رسمها واستخراج الأبحر منها حتى نقف على طريقة إخراج المهمل عند الخليل، ولتكن الدائرة التي سآخذها هي الدائرة الأولى، والتي تعرف بدائرة المختلف؛ نظراً لاختلاف أجزائها بين الخماسية والسباعية، وهذه الدائرة فيها ثلاثة أبحر مستعملة، وأوّل بحر فيها هو الطويل، وهو البحر الذي تبنى عليه الدائرة، ومن المعروف أنّ صدر الطويل هو(فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن)، وهذا بتفعيلاته الأصلية، وليست البديلة، وهو ما يجب التعامل به في الدوائر[65]، ومن المعروف – أيضاً–أنّ هذا الصدر يبنى من أربع تفعيلات، ترجع إلى أصلين هما (الخماسي والسباعي)، أقصد (فعولن مفاعيلن).[66]وهذه التفعيلات تتكون من مقاطع عروضية هي الأسباب والأوتاد، وننشرها على محيط الدائرة، نبدأ من منتصف الدائرة إلى اليمين من المركز.

فإذا بدأنا من نقطة (أ) (فعو) ظهر لدينا البحر الطويل.

وإذا بدأنا من نقطة (ب) (لن) ظهر المديد.

وإذا بدأنا من (جـ) (مفا) ظهر بحر مهمل، ويسمّى المستطيل.[67]

وإذا بدأنا من (د) (عي) ظهر البحر البسيط.

وإذا بدأنا من (هـ) (لن) ظهر بحر مهمل، ويسمّى الممتد.

وإليك المخطط التفصيلي لهذه الدائرة:

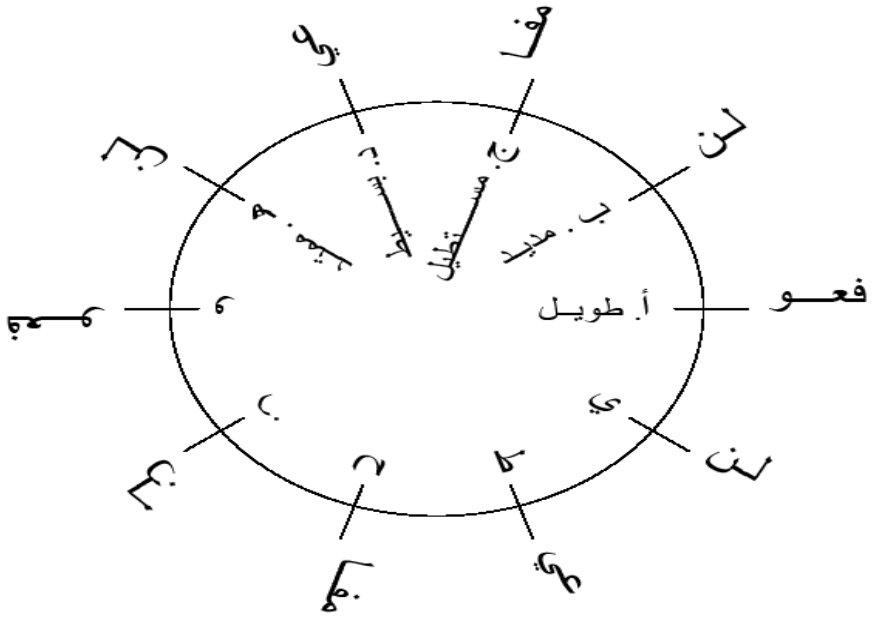


وهكذا فالخليل بعد طويل تقليب لم يظهر له في هذه الدوائر سوى هذه الأبحر الثلاثة المستعملة، وسواها مهمل، والعملية نفسها تسري على الدوائر الباقية.

ومن خلال هذه النظرية نتج عنده الأوزان الشعرية العربية، مستعملها؛ وهي التي وجد لها شواهد من شعر العرب، وهي ستة عشر وزنًا، ومهملها، التي لم يجد لها من شواهد من شعر العرب، وهي ستة أوزان، فالمستعملة معلومة، وسأذكر البحور المهملة وتفعيلاتها،كي تتضح الفكرة أكثر:

- البحور الستة المهملة في الدوائرالعروضية
- أولاً_البحر المستطيل

بحر مهمل من بحور دائرة المختلف التي تحوي الطويل والمديد والبسيط، ووزنه:

مفاعيلن،فعولن،مفاعيلن،فعولن مفاعيلن،فعولن،مفاعيلن،فعولن

- ثانياً_ البحر الممتد:

هذا البحر من دائرة المختلف ووزنه :

فاعلن،فاعلاتن،فاعلن،فاعلاتن فاعلن،فاعلاتن،فاعلن،فاعلاتن

- ثالثاً_ بحر المتوفر أو المتوافر:

وهو من دائرة المؤتلف التي تضم الوافر والكامل، ووزنه :

فاعلاتكَ،فاعلاتكَ،فاعلاتكَ فاعلاتكَ،فاعلاتكَ،فاعلاتكَ

– رابعاً_بحر المتئد:

وهو من بحور دائرة المشتبه ووزنه:

فاعلاتن،فاعلاتن،مستفع،لن فاعلاتن،فاعلاتن،مستفع،لن

– خامساً_بحر المنسرد:

وهو أيضاً من دائرة المشتبه ووزنه:

مفاعيلن، مفاعيلن، فاع لاتن مفاعيلن، مفاعيلن، فاع لاتن[68]

–سادساً_ بحر المطرد:

وهو أيضا من دائرة المشتبه ووزنه:

فاع لاتن، مفاعيلن، مفاعيلن فاع لاتن، مفاعيلن، مفاعيلن

مما سبق تتضح لنا عبقرية الخليل بن أحمد في علم العروض، كما رأيناها في وضع أوّل معجم في اللغة، ولقد حاولت قدر المستطاع أن أوضح هذه النظرية، وما لها من ارتباط بنظرية الدوائر المعجمية.

إنّ نظرية الدوائر العروضية تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي، هو مكتشف علم العروض، كما أنّ نظرية المهمل والمستعمل في العروض تشابه إلى حد كبير قرينتها في معجم العين إذا ما استثنينا الترتيب المخرجي في نظرية الدوائر المعجمية، فإذا ما أنعمت النظر في هاتين الدائرتين تبين لك الشبه بين الدائرة العروضية، والدائرة المعجمية إن أمكن تسميتها بذلك،[69] مما يدل دلالة قاطعة على أن مؤلف الاثنين واحد، "ونخلص من كلّ هذا إلى أنّ كتاب العين لا يمكن أن يكون من تأليف غير الخليل بحيث إنّه يكون من التجني على الواقع أن نكتب على غلاف الكتاب اسمًا غير اسم الخليل، أو نضع في فهارس المكتبات كتاب العين تحت اسم غير اسم الخليل".[70]

## المبحث الثالث

## كيفية معالجة الخليل للمهمل في ( العين)

من المعلوم أنّ الخليل –رحمه الله تعالى –استعمل طريقة مبتكرة في حصر ألفاظ اللغة تقضي بتقليب الجذر الواحد بعدد الأوجه اللفظية التي يمكن أن تظهر منه، فمثلاً من الثنائي يظهر وجهان، ومن الثلاثي يظهر ستة أوجه، ومن الرباعي يظهر أربعة وعشرون وجهاً، ومن الخماسي يظهر عشرون ومائة وجه.

إنّ هذه الأوجه أو التقليبات، منها ما هو مستعمل عند العرب، للدلالة على معنى معين، ومنها ما هو غير مستعمل لعدم دلالته على شيء معين، فسمى الخليل الأول مستعملاً والثاني مهملاً، وفي كل ما تقدم يقول الخليل:"اعلم أنّ الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين...والكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجه...والكلمة الرباعية تتصرف على أربعة وعشرين وجهاً... يكتب مستعملها، ويلغى مهملها".[71]

إنّ علّة إهمال الجذر عند"الخليل"هي عدم وجود مقابل في الواقع يدل عليه، لذا أطلق "الخليل" على الصيغ التي وجدها تدل على معنى في الواقع مصطلح (المستعمل)، في حين أطلق على الصيغ التي لا تدل على معنى، وإن كانت ممكنة نظرياً مصطلح (المهمل) ولعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا إنّ "الخليل" أول من أشار بشكل فعلي تطبيقي إلى المهمل في اللغة،على فرض أن هذا المهمل كان في ذهن اللغويين الذين سبقوه، ولكنهم لم يقعدوا له كما فعل الخليل، وقد أفاد الخليل في ذكر (المهملات) من نظام (التقليبات) التي هي من ابتكاره، ولم يسبقه أحد في ذلك، إذ يقول الدكتور رمضان عبد التواب:"الأمر في التقاليب، لم نجد من نص على أنها استخدمت في معاجم الهنود"[72] وإنما خص هنا معجمات الهنود لأنها أرقى ما وصلت إليه البشرية آنذاك في صناعة المعجمات، فمن باب أولى أن يكون غيرها خالياً من التقليبات.

هذا وبعد أن عرفنا أن الخليل قسم التقليبات على مستعمل ومهمل بحسب دلالتها على المعنى أو عدمها.فالطريقة التي عالج فيها " الخليل"هذه المستعملات، والمهملات في كتابه كانت بأن يصدر حديثه عن كل مادة ببيان ما استعمل من تصاريفها، وما أهمل،ثم يبدأ بشرح المستعمل منها فقط، ولكن المتتبع لمعجم (العين) يجد أنه قد استعمل فيه طرائق عدة في معالجة هذه المهملات، والمستعملات،ويمكن إجمالها بما يأتي:

أ- إذا كانت تقليبات الجذر كلها مستعملة ففي كثير من الأحيان ، تذكر من غير أن تردف بكلمة (مستعملة).[73]

ب-إذا كانت بعض التقليبات للجذر مستعملة، وبعضها مهملة، فالمستعمل يردف بكلمة (مستعمل)، أو مستعملان، أو مستعملات)بحسب كمية الجذور، والمهمل يردف -أيضاً- بكلمة (مهمل، أو مهملان، أو مهملات).[74]

جـ- إذا كان وجه واحد مستعملاً من التقليبات يذكر منفرداً، ويردفه بكلمة (يستعمل فقط) أو بعبارة (ما قبله مهمل) من غير ذكر التقليبات المهملة وذلك مراعاة للاختصار وعدم الإطالة.[75]

د- قد يكتفى بذكر التقليبات المستعملة فقط من غير أن تردف بأي كلمة، أو يبين المهمل منها.[76]

هـ- قد تردف التقليبات المستعملة كلها بعبارة (كلهن مستعملات ).[77]

و- وقد يكتفى بذكر التقليبات المستعملة فقط مع ذكر كلمة ( مستعملة )،أوعبارة ( يستعمل من وجوهها فقط ).[78]

هذا ما اتضح لي من معالجة المهملات والمستعملات في معجم (العين )، والذي ينعم النظر في هذا السفر العظيم يجد أن هذه الطريقة هي سنة متبعة، ومنهج يسير عليه المؤلف في جميع أجزاء الكتاب وإن لم يكن موحداً، فهذه عادة القدماء في عدم الاعتناء بالنمطية الممنهجة، على أنّه لا يمكن لي أن أجزم أنّ هذا كلّه من فعل الخليل، فمن يدري ؟، لعلها من زيادات النساخ، ولا سيما أنّنا نعلم يقيناً أنّ الأيدي قد عملت في كتاب (العين) من بعد مؤلّفه ما عملت، حتى عُدّ بعض هذه الزيادات من المطاعن والمثالب التي وجهت للكتاب.

إنّ هذه الأمور الستة وجدتها قد استعملت في معجم (العين) وكثر استعمالها في (أبواب الثنائي) و(أبواب الثلاثي)، وبعض (أبواب الرباعي)، والخليل نجده لا يصرح بذكر (المهملات) في بعض الأبواب الرباعية، وفي الأبواب الخماسية، والعلة في هذا معلومة واضحة إذ إن كثرة الأوجه المهملة مما تحتمله قسمة التقاليب أكثر من أن تحصى فهي بالملايين، فكل رباعي وجوهه أربعة وعشرون وجها غالبها مهمل، وكل خماسي وجوهه عشرون ومائة، المستعمل منها بالأفراد والباقي مهمل، فمن غير المعقول أن يذكرها كلها ؛ لذا نجد الدكتور حسين نصار يقول :"إننا نجد الخليل يشير في عنوان كل فصل من الأبنية الثنائية والثلاثية إلى المستعمل، والمهمل منها، أما فيما عدا ذلك فاكتفى –فيما يظهر- بإيراد المستعمل،ولم ينص على المهمل ؛لأنه شيء كثير "[79] وإلى مثل هذا أشار الدكتور خلف رشيد نعمان، فهو يقول :"تناول المستعمل بالشرح، ولكنه – وكما يبدو- لم يتعرض بالذكر للمهمل من تقاليب الرباعي، والخماسي لكثرته"[80] وهذا الذي ذهب إليه الأستاذان الفاضلان هو ما نجده ماثلاً أمام أعيُننا ونحن نبحث وننقب في معجم ( العين) المطبوع.

من خلال ما تقدم نخلص إلى أن الخليل يعد أول من قعّد للمهملات في اللغة، وعالجها في معجه –بحسب ما اطلعت عليه-، وكانت معالجته بطرائق متنوعة ، وأنه لم يذكر المهملات في بعض الأبواب، ولاسيما الرباعي والخماسي، لكثرة المهملات في هذين البابين، وأن علة الإهمال

هي عدم وجود معنى مقابل في الاستعمال اللغوي لذلك الجذر المهمل. على أن بعض هذه المعالجات قد تكون من عمل النساخ. والله أعلم

## الخاتمة

بعد هذه الرحلة الماتعة التي تقلبت فيها بين جنبات المعجمات العربية، وأبحرت بين أمواج الكتب اللغوية، رحلة أحسبها من أزهى أيّام عمري علماً، بين نصب ووصب، وإقدام وهرب، تعاندي نفسي وأعاتبها، تراوغني وأصبّرها، يا نفسُ إنّما الظفَر صبر ساعة..

**فاصبر بها غير محتالٍ ولا ضجرٍ في حادث الدهر ما يغني عن الحيل**

**قد رشحوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل**

فاستقرت وارتاحت، بعد أن وصلت الضفاف.

وبعد..

بقي عليّ أن أرصّع أطراف البحث بجملة من الدرر –أحسبها– خرجت بها من هذه المحيطات والأبحر، فأقول:

- لقد تتبّعت ما للمهمل وما عليه في أمّات المعجمات وكتب اللغة العربيّة.
- بيّنت أنّ الخليل بن أحمد أول من تنبّه إلى ظاهرة المهمل، وأول من قعّد لنظرية الإهمال والاستعمال في الأصل اللغوي، وفصلها في مقدمة معجمه من خلال ذكر الدواعي.
- بعد ذكر كلام العلماء في تعريف المهمل حاولت أن أصوغ تعريفاً عصرياً حرصت على أن يكون جامعاً مانعاً.
- دللت على أنّ الخليل صاحب معجم العين، من خلال الموازنة بين الدوائر العروضية والدوائر المعجمية إن صحّت التسمية.
- أحببت أن أذكر إخواني الطلبة عموماً، والباحثين خصوصاً، بأنّ ما بذلته من جهد، وما حصدته من ثمار، في هذا البحث ، هو مفتاح تشجيع لي ولهم للولوج في عالم المهملات الذي لم يلق توجّهاً، ولا توجيهاً من قبل الدارسين قبلاً، وإن وجد فهو خجول، وأسأل الله أنّي قد أخذت منه بطرف.
- أوصي الطلبة والباحثين من بعدي بإجراء دراسات معمّقة في مهملات الجذر العربي واستقصاء أصوات معيّنة الأصول المهملة عند الخليل، مستعملة في لغتنا، أو مهملة سواء

تلك التي فيها ذلك التنافر أم ليس فيها ، للوقوف على خصائصها الصوتية والدلالية، لكي يتسنى لنا معرفة الأثر الدلاليّ للأصوات حال انفرادها وبعد تأليفها.

**الهوامش والتعليقات**

(1) –ينظر: المعاجم العربية:32

(2) –ينظر: نفسه.

(3) – يقصد بالأف همزة الوصل.

(4) –العين:47/1.

(5)– نفسه:57/1–58.

(6) – مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي:134.

(7) – الحافظ أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي المصري،(ت: 911هـ) له من الكتب ما تعج به المكاتب منها الإتقان في علوم القران.ينظر:فهرس الفهاس:1011/2.

(8) –بغية الوعاة:559/1

(9) –الأمام عبد الرحمن محمد بن محمد بن خلدون،(ت:808) سار اسمه في الأمصار وهو أشهر من نار على علم، ، ينظر: فهرس الفهارس:324/1.

(10) –ينظر: ظاهرة الأصول المهملة،:15. رسالة ماجستير

(11) – هذه طريقة في الحساب كان يستعملها القدماء في الإحصاء ونحن اليوم في عصر التقدم العلمي استجدت عندنا إمكانات وتوصل العلم إلى اختراعات لم تكن في متناول القدماء بل لم تكن في متصورهم، من هذا العلوم آلة الحاسوب، فهذه ألآلة لها القدرة على تجديد الإحصاء وترتيبه بسرعة واتقان، ومن الذين استعملوا هذه ألآلة في الإحصاء الكتور فخر الدين قباوة في كتابه الرائع الاقصاد اللغوي في صياغة المفرد من صفحة 114–154.

(12) –مقدمة ابن خلدون:757

(13) – العين:56/4.

(14) –أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي اللغوي (ت:321هـ) له من الكتب: كتاب الجمهرة في اللغة، وكتاب الاشتقاق، وكتاب الخيل الكبير، وغيرها.ينظر:نزهة الألباء في طبقات الأدباء:191.

(15) – جمهرة اللغة:988/3.

(16)–أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي، (ت:395هـ) له من الكتب: المجمل في اللغة، ومقاييس اللغة، وله كتاب حلية الفقهاء، وله رسائل أنيقة، ومسائل في اللغة.ينظر: معجم الأدباء :80/4، ووفيات الأعيان:118/1.

(17) – مقاييس اللغة :37/10.

(18)–مجمل اللغة:909/1

(19)–إسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد الوزير، الملقب بالصاحب كافي الكفاة، أبو القاسم، من أهل الطالقان، وهي ولاية بين قزوين وأبهر،(ت:385هـ) عالم لغوي من كتبه: المحيط في اللغة.ينظر:معجم الأدباء:662/2، ووإنباه الرواة :201/1.

(20)–المحيط في اللغة:311/1.

(21)-علي بن أحمد بن سيده اللغوي الأندلسي، أبو الحسن الضرير وكان أبوه أيضا ضريراً، (ت:458هـ) من كتبه: المحكم والمحيط الأعظم، والمخصص.ينظر:معجم الأدباء:1648/4.

(22)-المخصص:173/2.

(23)-أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، (ت:538هـ) من كتبه: الكشاف عن حقائق التنزيل، وكتاب الفائق في غريب الحديث.ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء:290.

(24)- أساس البلاغة:802.

(25)- محمد بن مكرم بن علي بن أَحمد الأنصاريّ الإفريقِي ثمَّ المصريّ جمال الدين أَبو الفضل، (ت:711هـ) من كتبه: لسان العرب جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح والجمهرة.ينظر:الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة:15/6.

(26)- اللسان: 136/15.

(27)- محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الزبيدي، الملقب بمرتضى (أبو الفيض) لغوي، نحوي، محدث اصولي...(ت:1205)، من تصانيفه الكثيرة: تاج العروس في شرح القاموس في عشر مجلدات، ...وعقد الجواهر المنيفة في أدلة مذهب الامام أبي حنيفة.معجم المؤلفين:282/11.

(28)-ينظر: الصحاح:1854/5.

(29)- طهفة بن أَبي زهَير النهدي، وقال بعضهم: قيس بن زهَير، من بني مَالك بن نهد، قدم الموصل وكتاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلَّم معه.أسد الغابة:410/4.

(30)-ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر:375/3.وجاء في منال الطالب في شرح طوال الغرائب 7/1:"حديث طهفة بن أبي زهير النهدي، لما جاءت وفود العرب، قام طهفة فقال: أتيناك يارسول الله، من غَورَي تهامة... ولنا نعم همل أغفال ما تبضّ ببلال.."، النعم: اسم جنس: للأبل والبقر والغنم...، والمهل: بفتحتين، المهملة التي لا رعُاة لها...، الأغفال: جمع غُفْل وهي النعم التي لا سمة لها.

(31)-ينظر: الصحاح:1854/5.

(32)_تاج العروس:161/31-163.

(33)- اللسان :136/15.

(34)- علي بن محمد بن عَلي الحَنَفيّ الشريف الجرجانِي،( ت:816هـ) من كتبه: شرح المواقف للعضد، وشرح التجريد للنصير الطوسي.ينظر:بغية الوعاة:197/2.

(35)- التعريفات:190.

(36)-شرح شذور الذهب: 15

(37)- قال ابن سنان في سر الفصاحة:43" الكلام على ضربين مهمل ومستعمل: فالمهمل هو الذي لم يوضع في اللغة التي قيل له مهمل فيها، لشيء من المعاني والفوائد. والمستعمل هو الموضوع لمعنى أو فائدة".

**(38)**- محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي: باحث هندي(ت:1160هـ)، له (كشاف اصطلاحات الفنون )، و (سبق الغايات في نسق الآيات ) ينظر:الأعلام للزركلي:6/ 295.

(39)- ولكني أتساءل:أليست النتيجة واحدة،فعدم السماع،سببه عدم استعمال العرب له.والله أعلم.

(40)-المشهور في (غير) أن لا تعرف بـ(ال)،وانما تعرف بالاضافه، ينظر:الكتاب،سيبويه،:479/3.

(41)- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم:166/2.

(42)-ينظر: التعريفات:190.

(43)- الصاحبي في فقه اللغة:47/1.

(44)- أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء ، عالم متفنن، من كتبه (الكليّات ) كان من قضاة الأحناف.الأعلام للزركلي :38/2.

(45)- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية :1057/1

(46)- ينظر :الصاحبي في فقه اللغة:47.

(47)- المعاجم العربية: 3.

(48)-ينظر :أسس علم اللغة:93.

(49)-ينظر :البحث اللغوي عند العرب:179

(50)-يتبين أن النظرية الخليلية (المهمل والمستعمل) أبعادها لسانية لغوية، فهي تسبق نظريات الفكر اللساني الحديث مثل نظرية سوسير ومصطلحيه (اللغة والكلام) وكذلك نظرية تشومسكي ومصطلحيه (الكفاءة والأداء) كما أن نظرية (المهمل و المستعمل) تقابل مصطلحي (القوة والفعل) عند المناطقة، وتعني هذه المصطلحات: الأول؛المفترض الذي يمكن وجوده.والثاني:الفعل الموجود في الواقع.

(51)-ينظر :فن التقطيع الشعري والقافية:78

(52)-ينظر :تاريخ الأدب العربي،شوقي ضيف:159/2

(53)- هو الليث بن المظفر:"كذا قال الأزهري في مقدمة كتابه: الليث بن المظفر، وقال ابن المعتز في كتاب الشعراء: من تصنيفه: الليث بن رافع بن نصر بن سيار، قال الأزهري: ومن المتقدمين الليث بن المظفر الذي نحل الخليل بن أحمد تأليف «كتاب العين» جملة لينفّق كتابه باسمه ويرغّب فيه من حوله".معجم الأدباء:2253/5.

(54)- المعاجم العربية: 24.

(55)- ينظر نفسه :75.

(56)-ينظر :نفسه :76.

(57)-ينظر: مقدمة لدراسة التراث العربي:137.

(58)-ينظر: المعاجم العربية:71، والمعجم العربي نشأته وتطوره:270/1.

(59)-ينظر: فصول في فقه اللغة العربية:270.

(60)- ينظر: الجمهرة:49/1.

(61)- ينظر: فن التقطيع الشعري والقافية:75.

(62)-ينظر: نفسه،:75.

(63)-ينظر: نفسه:75.

(64)-ينظر :نفسه:75.

(65)-ينظر: فن التقطيع الشعري والقافية:76.بتصرف

(66)-ينظر :نفسه:76.

(67)-ينظر: نفسه:76.

(68)- العيون الغامزة على خبايا الرامزة:20.

(69)-ينظر المعاجم العربية:73.

(70)- المعاجم العربية:76.
(71)-العين:59/1.
(72)-فصول في فقه العربية:270.
(73)- ينظر على سبيل المثال:العين:1/1،174/332، 2/31، وغيرها.
(74)- ينظر نفسه:1/281، 2/81، 4/2،53/48، وغيرها.
(75)- ينظر نفسه:1/5،62/182، وغيرهما.
(76)- ينظر نفسه:2/233، وغيره.
(77)- ينظر نفسه:5/381، وغيره.
(78)- ينظرنفسه:1/1،149/544، وغيرهما.
(79)-المعجم العربي نشأته وتطوره:197/1.
(80)-نظرة عامة في المعجم العربي :34.

## المصادر والمراجع


1. **أساس البلاغة**، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، (ت: 538هـ)، تح: محمد نبيل طريفي، ط1 - 2009م
2. **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: 630هـ)، تح:علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود دار الكتب العلمية، ط1- 1415هـ - 1994 م.
3. **أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب،ط9—2010م.**
4. **الأعلام**، خير الدين بن محمود بن محمد بن الزركلي (ت: 1396هـ) دار العلم للملايين،ط15 -2002 م
5. **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: 646هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، ط1__ 1424 هـ
6. **البحث اللغوي عند العرب**، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، بيروت، ط8 . 2003م.
7. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، (ت: 911هـ)، دار المعرفة، بيروت ـ 1983م.
8. **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمد مرتضى الزَّبيدي، (ت: 1205هـ)، تح: جماعة من العلماء، طبعة الكويت، (1965 ـ 2001)م.
9. **تاج اللغة وصحاح العربية**، إسماعيل بن حماد الجوهري، (ت: 400هـ)، تح: خليل مأمون شيحا، ط3 ـ 2008م.
10. **تاريخ الأدب العربي**، د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط4 ـ 2003م.
11. **التعريفات**، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، (ت: 416هـ) ،ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ ـ 1983م.
12. **جمهرة اللغة**، محمد بن الحسن بن دريد، (ت: 321هـ) تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين بيروت،ط1-1988م.
13. **سر الفصاحة**، أبو محمد عبد الله بن محمد سعيد بن سنان الخفاجي، (ت: 466هـ)، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 -2010م.

14. **شرح شذور الذهب**، عبدالله بن هشام الأنصاري،(ت:761)، ضبط: يوسف الشيخ محمد الرفاعي،ط1— 1994م.
15. **العيـون الفـاخرة الغـامزة علـى خبايـا الرامـزة**، بـدر الـدين أبـو عبـدالله محمـد ابـن أبـي بكـر الـدماميني، (ت:760هـ)، المطبعة الخيرية، مصر، ط1 ـ 1903م.
16. **فصول فـي فقـه العربيـة**، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة ودار الرفاعي، الرياض، ط1 ـ 1983م.
17. **فن التقطيع الشعري والقافية**، د. صفاء خلوصي، دار الرشيد، بغداد ـ 1988م.
18. **فهـرس الفهـارس والأثبـات ومعجـم المعـاجم والمشـيخات والمسلسـلات**، محمد عَبْد الحَـيّ بـن عبد الكبير الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (ت: 1382هـ)، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي – بيروت ،ط 2__ 1982.
19. **الكتـاب**، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت: 180هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط3 ـ 1983م.
20. **كتـاب العين**، الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت: 175هـ)، تح: مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد، ط1 ـ 1982م.
21. **الكُلّيات معجم في المصطلحات والفروق اللغويـة**، أبو البقاء أيوب ابن موسى الكفوي، (ت: 1094هـ)، تح: د. عدنان درويش، ومحمّد المصري، مؤسسة الرسالة، ط2، 1432هـ ـ 2011م.
22. **لسان العرب**، محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقى، دار صادر، بيروت، ط3 ـ 1414هـ.
23. **مجمـل اللغـة**، أبو الحسين أحمد بن فارس، (ت: 395هـ)، تح: هادي حسن حمودي، منشورات معهد المخطوطات العربية، ط2 ـ 1985م.
24. **المحيط فـي اللغـة**، الصاحب إسماعيل بن عبّاد، تح: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1958م.
25. **المخصـص**، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، (ت: 458هـ)، تح: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1417هـ ـ 1996م.
26. **المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم "العين" للخليل بن أحمد**، د. عبد الله درويش، مصر ـ 1965م.
27. **معجـم الأدبـاء** ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: 626هـ)، تح: د.إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1، 1414 هـ __ 1993 م.
28. **المعجم العربي نشأته وتطوره**، د. حسين نصار، دار مصر للطباعة، القاهرة، ط1 ـ 1973م.
29. **معجم المؤلفين**، عمر بن رضا بن محمد كحالة (ت: 1408هـ)، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
30. **مقاييس اللغة**، أبو الحسين أحمد بن فارس، (ت: 395هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، ط2 ـ 1979م.
31. **مقدمـة ابن خلدون**، عبد الرحمن محمد بن محمد بن خلدون،(ت: 808هـ)، تح: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط1 .2004م.
32. **مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي**، علي حلمي خليل، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ط1 ـ 2003م.

33. **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، عبد الرحمن بن محمد أبو البركات كمال الدين الأنباري (ت: 577هـ)، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن،ط3، 1405 هـ __ 1985 م
34. **نظرة عامة في المعجم العربي**، د.خلف رشيد نعمان، الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية، بغداد ـ 2008م.
35. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين المبارك بن محمد بن الشيباني الجزري ابن الأثير (ت 606هـ)، تح: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ ـ 1979م.
36. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: 681هـ)، تح: إحسان عباس،دار صادر – بيروت، ط1ـ من 1900–1994

**الدوريات والرسائل**

**ظاهرة الأصول المهملة عللها وأبعادها**، وهي رسالة ماجستر للطالبة كفاح إبراهيم محمود نواس، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين ـ 2009م.